﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23-24].

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

بعد دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده، لفت انتباههم إلى ربّانيّة الوحي فدعاهم إلى الإتيان بسورة من مثله

لمَّا شرعتِ الآياتُ في بيانِ أصنافِ النَّاس بين مؤمنٍ وكافرٍ ومنافق، ثمَّ خاطَبَهم مجموعين بلفظِ النَّاس، وأمَرَهم بالعبادةِ لِتحصيلِ فضيلةِ التَّقوى، ودلَّهم عَلَيْهِ مِنْ خلالِ الآياتِ الكونيَّة، ونهاهُم عنِ اتِّخاذِ الأنداد، كان من المناسِبِ دفعُ التُّهَمِ وَالشُّكوكِ حول الآيات القرآنيّة؛ فإنَّ نَهْيَ المخاطَبين عَنِ اتِّخاذِ الأنداد مِنْ شَأْنِهِ تحريكُ العقولِ الجاحدة والقلوبِ المريضة لِلْمُحَافَظَةِ على إرثِ الآباء، ومُجَابَهَةِ التَّكاليف الجديدة، فكانت مواجهةُ ذلك بقولِهِ تعالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ من بَراعة الاِسْتِبَاقِ الاحترازيِّ، وبلاغة المحاورة العقديَّة، وفصاحةِ المجادلة العقليَّة، فوقعتْ هذه الآيةُ مِنَ السَّابق موقعَ التَّتميم والتَّكميل بِمَا لا غَنَاءَ عَنْهَا.

ثُمَّ إِنَّهُ لمَّا ذَكَرَ إنزالَ الماءِ من السَّماء باعتباره أحدَ مظاهرِ القدرةِ الإلهيَّة والعجزِ البشريِّ، طالَبَهم بالإتيانِ بسورة مِنْ مِثْلِ سُوَرِ القرآن النَّازلة مِنَ السَّماء؛ لبيانِ أنَّ من يَعْجز عن إنزالِ الماءِ مِنَ السَّماء عاجزٌ عَنِ الإتيانِ بسورة مِنْ مِثْلِ القرآن، وهو من إلحاقِ النَّظير بنظيره.

من ناحية أخرى، إنّه لمّا أقامَ الدَّلائلَ القاهرةَ عَلى إثْباتِ الصّانِعِ، وأبْطَلَ القَوْلَ بالشَّريكِ، عَقَّبَهُ بِما يَدُلُّ عَلى النُّبُوَّة، ولَمّا كانَتْ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ مَبْنِيَّةً عَلى كَوْنِ القُرْآنِ مُعْجِزًا أقامَ الدّلالة عَلى كَوْنِهِ مُعْجِزًا[1].

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 2/125-126.

قال أبو حيّان الغرناطي في بيان وجه المناسبة بما سبق: "ومُناسَبَةُ هَذِهِ الآيَةِ لِما قَبْلَها أنَّهُ لَمّا احْتَجَّ تَعالى عَلَيْهِمْ بِما يُثْبِتُ الوَحْدانِيَّةَ ويُبْطِلُ الِاشْتِراكَ، وعَرَّفَهم أنَّ مَن جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فَهو بِمَعْزِلٍ مِنَ العِلْمِ والتَّمْيِيزِ، أخَذَ يَحْتَجُّ عَلى مَن شَكَّ في النُّبُوَّةِ بِما يُزِيلُ شُبْهَتَهُ، وهو كَوْنُ القُرْآنِ مُعْجِزَةً، وبَيَّنَ لَهم كَيْفَ يَعْلَمُونَ أنَّهُ مِن عِنْدِ اللَّهِ أمْ مِن عِنْدِهِ، بِأنْ يَأْتُوا هم ومَن يَسْتَعِينُونَ بِهِ بِسُورَةٍ. هَذا، وهُمُ الفُصَحاءُ البُلَغاءُ المُجِيدُونَ حَوْكَ الكَلامِ، مِنَ النِّثارِ والنِّظامِ والمُتَقَلِّبُونَ في أفانِينِ البَيانِ، والمَشْهُودُ لَهم في ذَلِكَ بِالإحْسانِ."[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿شُهَدَآءَكُم﴾: الشِّين والهاء والدَّال تدور تصاريفُها على مَعانٍ ثلاثة، هِي: الحضور والعلم والإعلام، ومِن ذلك الشَّهادةُ؛ فهي جامعة لِلْمَعَاني الثَّلاثة المذكورة[2].

والشُّهداء: جمعٌ لِلشَّهيدِ، بمعنى: الشَّاهِد، وهو المُخْبِرُ عَنْ عِيَانٍ بحقٍّ لغيرِهِ على آخَرَ[3].

وفي المراد بقوله تعالى: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ أقوال، فقيل: هي آلهتهم؛ لأنَّ الكُفَّار يَشْهَدُونَها ويحضرونَها، أو لأنَّهم عبَدُوها لتشهدَ لهم عند اللّه تعالى -في زعمهم-، وقيل: هُمُ الأعوان، وسُمُّوا بذلك لأنَّ مِن شرط الإعانةِ حضورَ المُعانِ عَلَيْهِ وشهودَهُ، وقيل: بناسٍ يَشْهَدُونَ أنَّ ما أتَوْا به هُوَ مثلُ القرآنِ[4].

2) ﴿صَٰدِقِينَ﴾: الصَّاد والدَّال والقاف تَدُلُّ تصاريفُها على قُوَّةٍ في الشَّيْءِ قولًا كان أو غيرَه، ومِنْهُ قولُهم: هذا شيءٌ صَدْقٌ، أي: صلبٌ، ومِنْهُ سُمِّيَ الصِّدق -نقيض الكذب- بذلك؛ لقوَّتِهِ في نفسِهِ[5].

وَالصَّادقُ: المُتَّصِفُ بالصِّدْقِ، والصِّدْقُ: هو إخبارٌ عَنِ المُخْبَرِ بِهِ على ما هو عَلَيْهِ في الواقع، ولا يكون محمودًا شَرْعًا إلَّا مع العِلْمِ بأنَّهُ كذلك[6].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/284.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).
(3) الجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 129.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/44.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(6) أبو البقاء الكفويّ، الكُلّيّات، ص: 556.

3) ﴿وَقُودُهَا﴾: الواو والقاف والدَّال: كَلِمَةٌ تدُلُّ على اشتعال نارٍ[1]، والوَقودُ: الحَطَبُ، والوُقُودُ: التوقُّدُ والاتِّقادُ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إثبات عجز جميع النّاس عن الإتيان بمثل أقصر سورة من القرآن، وهذا دليل ربّانيّته وإعجازه

وَإِنْ كُنْتُم أيُّها النَّاسُ في شكٍّ مِنَ القرآن المعجزِ بفصاحتِهِ المُنَزَّل على عبدنا مُحَمَّدٍ ﷺ فَجِيئُوا بسورة واحدة مُمَاثلةٍ له -ولو لأقصر سورة مِنْهُ- حَقًّا وصِدقًا، لا باطل فِيهَا ولا كَذِبَ، واستعينوا بِمَنْ شئتُم من أنصاركم وأعوانكم، وأتوا بمَنْ يَشْهَدُ لَكُم أنَّ ما تأتونَ به يماثِلُ القرآنَ، إن كنتم صادقين في دعواكم.

فإنْ لم تقدروا على ذلك الآن -ولن تقدروا عَلَيْهِ أبدًا- فاجعلوا الإيمانَ باللّه تعالى ورسولِه ﷺ وقايةً لكم مِنْ عذاب النارِ التي تُوقَدُ بالحجارة وبِمَنِ اسْتَحَقَّ العذابَ من النَّاسِ، وقد أعدَّها اللّه تعالى لِلْكَافِرِينَ به وبِرُسُلِهِ[3].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

تَعْلِيقُ الشَّرْطِ بِـ (إِنْ) دُونَ (إِذَا):

قُوَّةُ أَدِلَّةِ الْإِعْجَازِ الْقُرْآنِيِّ وَمُكَابَرَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ

جيءَ بأداة الشَّرط (إِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ -وهي تدُلُّ في الأصل على عدم الجزم بوقوع الشَّرْطِ- فيُفيدُ ذلك أنَّ شكَّهم وريبَهم ليس مقطوعًا به، مع أنَّهم زادُوا على الشَّكِّ التَّكْذيبَ؛ لأنَّ مدلول الشَّرط حفَّ به مِنَ الأدلَّة والبراهين ما شأنُهُ أن يُزيلَ الشَّرطَ بالكلِّيَّة، بحيث يكون وقوعُهُ مفروضًا[4]، فيكون فيه إيماءٌ إلى أنَّ ريبَهُمْ ضعيفٌ مشكوكٌ في وقوعِهِ.

---

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وقد).

(2) الجوهريّ، الصّحاح: (وقد).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 1/373. ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/44، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/57، وجماعة من علماء التّفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 4، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 4.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/336.

اختيارُ المفردةِ وأثرُه في بيان دقائق النَّظم:

ريـبُ الكافرين ضعيف لسطوع دلائـل الإعـجاز القرآني

التَّعْبير بالرَّيْب دون الشَّك وهو من الألفاظ قريبةِ الدّلالة عليه؛ لِلتَّنْبيه على أنَّ جَزْمَهم ذلك بمنزلةِ الرَّيْبِ المُسْتَضْعَف؛ لكمال وضوح أدلَّة الإعجاز وكونها بلغَتْ في القوَّةِ مبلغًا عظيمًا، أو أَنَّ ذلك لِلإشَارَةِ إلى أنَّ أقصى ما يمكِنُ صدورُه عَنْهُمْ هُو الرَّيْبُ، وإن كانوا في غايةِ المُكَابَرَةِ والمعاندة[1].

فَائِدَةُ أُسْلُوبِ البَحْثِ فِي الِاسْتِدْلَالِ:

عَـدَمُ الِاعْـتِـدَادِ بِشَكِّ الشَّاكِّينَ فِي الْـقُـرْآنِ الْكَرِيمِ

الاستدلالُ الواردُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، هُوَ استدلالٌ بأحد أنواع الْجَدَلِ، وهو معارضةُ دليلِ الخصم بدليل آخرَ، ففيه أسلوبُ البحثِ -الذي يُسمِّيه جماعةٌ: المذهبَ الكلاميَّ[2]- في علم البَدِيع.

وتقريره: أَنَّهُمُ ارْتابُوا وشكُّوا في براهين النُّبوَّةِ وأدلَّة ربَّانيَّة مصدر القرآن الكريم؛ فَلْيُعارِضُوه، لِيَكُونَ لشَكِّهم وَجْهٌ![3].

التَّعْبِيرُ بِـ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ دُونَ (وَإِنِ ارْتَبْتُمْ):

الـرَّيْـبُ الْمُـوَجَّـهُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُـوَ مِـنْ عُـقُـولِ الْمُـرْتَـابِـيـنَ الفَاسِدَةِ لَا مِنْ ذَاتِ الْقُرْآنِ

عُبِّر بـ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ دون (وإنِ ارْتَبْتُمْ)؛ لأنَّ (كُنْتُمْ) تُصوِّرُ ما وقعَ مِنْهُمْ؛ مبالغةً في تنزيهِ القرآن الكريم عن شائبة وقوع الرَّيْبِ فيه، وإنَّما ذلك واقعٌ مِن عقولِهِمُ الفَاسدةِ لا من ذات القرآن الكريم[4].

ويؤيِّدُ هذا المعنى: أنَّ حرف الجرِّ (في) يُومِئُ إلى انْغِمَاسِهِمْ في الرَّيْبِ، وأنَّه قد أحاط بِهِمْ كَإِحَاطَةِ الظَّرف بالمظروف[5].

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/63.

(2) وحدُّه: أنْ يُورِدَ المتكلِّم حجةً لمطلوبه، بِأَنْ يَكُونَ التَّسليمُ بالمقدّماتِ يستلزمُ التَّسليمَ بهذا المطلوبِ. ابن عبد الحقِّ العُمَرِيّ، درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشِّحنة، ص: 444-443.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/70.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/63، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/162.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/336.

تَنْكِيرُ ﴿رَيْبٍ﴾ لِلتَّقْلِيلِ:

تَنْكِيرُ (ريب) من قوله تعالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يُراد بِهِ التَّقْلِيلُ؛ لِلإِشَارَة إلى حقيقةِ مَا في نفُوسِهِم مِنَ التَّصْدِيقِ، وجحدِهم بألْسِنَتِهم مُكابَرةً وعنادًا، ومعنى الآية: إنْ كان عِنْدَكُم أدنى ريبٍ، فَانْفُوه عن أنفسِكُم بالإتيان بسُورَةٍ من مِثْلِه[1].

التَّعْبِيرُ بِـ (نَزَّلَ) دُونَ (أَنْزَلَ):

إِنْـزَالُ الْـقُـرْآنِ الْكَرِيمِ مُنَجَّمًا أَنْسَبُ لِسِيَاقِ التَّحَدِّي وَأَبْلَغُ فِي تَبْكِيتِ الْكُفَّارِ

التَّعبير بـ (نزَّل) في قوله سبحانه: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ دون (أَنْزَلَ)؛ لِمَا يُفيدُهُ (نَزَّل) مِنَ التَّنجيم وَالتَّدريج، وهو المُطَابِقُ لتنزيل القرآن الكريم، وهو الأنسَبُ لمقام التَّحدِّي، فكأنَّ المعنى: (إِنِ ارْتَبْتُم في هذا الذي وقع إنزَالُهُ هكذا على مَهل وتدريج، فهَاتُوا أنتم نَوْبَةً واحدة مِنْ نُوَبِه، وهَلُمُّوا نَجْمًا فردًا من نُجُومِه: سورةً من أَصْغَرِ السُّور، أو آياتٍ شَتَّى مفتريات، وهذه غايةُ التَّبْكِيت، ومُنْتَهى إزاحة الْعِلَلِ)[2].

ولأنَّ هذا جارٍ على سَنَنِ العربِ الذين نزل القرآن الكريم بلغتِهم؛ فكان النَّاظم لا يُلْقِي ديوان شعرِه مرَّة واحدة، ولا يرمي النَّاثِر بخطبِهِ ورسائلِهِ دفعةً واحدةً، فلو أنزل اللهُ تعالى القرآن الكريم جُمْلَةً واحدة؛ لكان إنزالُهُ على خلاف هذه العادَةِ، بِالْإِضَافَةِ إلى فواتِ فوائدَ أُخْرَى من تَنْزِيلِهِ مُنَجَّمًا[3].

الِالْتِفَاتُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ؛ لِلدَّلالة عَلَى التَّفْخِيمِ:

عَـظَـمَـةُ مُـنَـزِّلِ الْـقُـرْآنِ الْكَرِيمِ وَعَـظَـمَـةُ الْـمُـنَـزَّلِ عَلَيْهِ

جاءَ قولُه تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ بأسلوب التَّكَلُّم بعد قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ بأسلوب الغَيْبَة، وكان مقتضى الظاهر: (مِمَّا نزَّل على عبدِهِ)؛ ففيهِ الْتِفَاتٌ مِنَ الغَيْبَة إلى التَّكَلُّم، وفائدته: تفخيمُ المُنَزِّل وهو الله تعالى، وتفخيم الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وهو النَّبِيُّ ﷺ لا سيَّما

(1) عادل أحمد الرّوينيّ، من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة، ص: 112.
(2) الزّمخشريّ، الكشَّاف: 1/97.
(3) الزّمخشريّ، الكشَّاف: 1/96-97.

وأنَّ أسلوبَ التَّكَلُّم في ﴿عَبْدِنَا﴾ وَرَدَ بـ (نَا) الدَّالَّةِ على العظمةِ؛ وذلك ما لا يُفيده (عَبْدِي) وإن كان يتوافَقُ مع ما قبله في التَّكلُّم[1]، والْإِضَافَةُ في ﴿عَبْدِنَا﴾ لِتَشْرِيفِ المضافِ.

دلالة الْأَمْرِ في ﴿فَأْتُواْ﴾:

إِقَـامَـةُ الحـجَّةِ عَـلَى الخَصْمِ؛ لِتَحقِيقِ الإِقْنَاعِ وَالهِدَايَةِ

الأمرُ في قوله ﷻ: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يُرادُ به التَّحدِّي، وليس المرادُ بِهِ الإِلْزَامَ؛ إذِ المقامُ مقامُ إظهار عجزهم عَنِ الإتيان بسورة مِنْ مِثْلِ القُرآن الكريم؛ لِأَنَّهم إنْ حَاوَلُوا ذلك بعد سماعهم صيغةَ الأمْرِ- ولم يُمْكِنْهُم - ظَهَرَ عَجْزُهُمْ وبانَ[2].

ثُمَّ إنَّ التَّحَدِّيَ لا يُرادُ لذاتِهِ، وإنَّما يُرادُ لازِمُهُ وهو ثبوتُ صِدْقِ الرِّسالةِ وهدايةُ المخاطَبين؛ وذلك لا يكونُ إلَّا بإقامة الحجَّة عَلَيْهِمْ، فَفِي الْأَمْرِ قِيمَةٌ هِدائيّة، وإبرازُ التَّعجيزِ فِيهِ قِيمَةٌ جَدَلِيَّةٌ، وتقديم القِيمَةِ الهدائيَّةِ على الجدليَّةِ طريقَةٌ قرآنيَّةٌ.

تَنْكِيرُ (سُورَةٍ) لِبَيَانِ النَّوْعِ:

تَـوْسِـيـعُ دَائِـرَةِ التَّحَدِّي تُظْهِرُ عَجْزَ الْمُعَانِدِينَ

نُكِّرت (سُورَة) من قول الله ﷻ: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ لِبَيَانِ النَّوع؛ لِلإِيمَاء إلى اتِّساع مجال التَّحدِّي والمعارضة؛ فَإِنَّ المطلوبَ حينئذٍ هو الإتيان بمثلِ أيِّ سورةٍ من سُوَرِ القُرآن، وهذا غايةٌ في التَّبكيتِ والتَّخجيلِ لهُمْ إذْ عَجَزُوا عَن ذلك[3]. وهم الفصحاءُ البُلغاءُ الأَبْبِناءُ.

دلالة الْحَرْفِ ﴿مِّن﴾:

أُمِّيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَدِلَّـةِ صِحَّةِ الْمَصْدَرِ الرَّبَّانِيِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(مِنْ) في قوله سبحانه: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ لا يَجُوزُ أن تُحْمَلَ على كونِهَا صِلَةً[4]؛ لأنَّ (مِنْ) إنَّما تُزاد -عندَ الجمهور- في النَّفْيِ، وبشرط أَنْ يَكُونَ مَدْخُولُها نكرةً[5].

---

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرَّيحان: 1/284.
(2) بسيوني عبد الفتاح فيُّود، علم المعاني، ص: 360.
(3) عادل أحمد الرّويني، من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة، ص: 117.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/170.
(5) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/34.

وتحتمل ﴿مِّن﴾ هَهُنَا ثلاثةَ أوجُهٍ:

الأوَّل: أن تكون لِلابْتِدَاءِ؛ وذلك بإعادة الضَّمير في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ لِلْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وهو النَّبِيُّ ﷺ ويكون المعنى: فَأْتُوا "بسورة كائنةٍ مِمَّنْ هو على حالِهِ مِنْ كونِه بشرًا أُمِّيًّا، لم يقرأ الْكُتُبَ، ولم يتعلَّم العلُومَ"[1].

والثَّاني: أن تكون لِلتَّبْيِين، وعَلَيْهِ فَتَكُونُ السُّورةُ المتحدَّى بها كونَهَا مثلَ القرآنِ في النَّظم وغرابةِ البَيَان[2].

والثَّالِثُ: أن تكُونَ لِلتَّبعيض؛ إذِ التَّحَدِّي في هذه الآية وقع ببعضِ القرآن؛ وهو السُّورة[3]، أو أنَّ التَّبْعِيضَ رَاجِعٌ إلى المُمَاثَلَةِ؛ أي: أنَّهم مُطَالَبُون بنوعٍ مِنَ الْمُمَاثَلةِ، لا بالمُمَاثَلَةِ التَّامّةِ[4]، وهذا المعنى هو الأظهرُ، "ومعنى هذا أن المرحلة الأخيرة كان التّحدي فيها للنّاس جميعًا، ولا يُعقل أن يتحدَّى النَّاس جميعًا بالبيانِ وحدَه، إنَّما هو تحدٍّ عامٌّ عمومَ المخاطبين به"[5]؛ فيدخلُ فيه جميع أوجه الإعجاز، والمخاطَبون مطالبون بالإتيانِ بوجهٍ واحد، وهذا هو معنى التَّبعيض.

تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ سُورَةِ البَقَرَةِ وَسُورَةِ يُونُسَ:

لَم تَرِد (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 38]؛ وذلك أنَّ آيةَ يونسَ وقع التَّحدِّي بالإتيان بسورة مماثلةٍ لِلْقُرْآن، بخلاف آيةِ البقرة، فكان فيها تَنَزُّلٌ مَعَهُمْ مِنَ الإِتْيَانِ بالمماثل إلى الإتيان بِشَيْءٍ مِمَّا يُماثل، فالمطلوبُ: شَيْءٌ مِن جِنْسِ المُمَاثلة على وجه التَّقريب.

ولَمَّا كانت آيةُ البقرَةِ آخِرَ آياتِ التَّحدِّي الأربع نُزُولًا؛ إذِ الآيَاتُ الثَّلاث الأُخَر كلُّها واردةٌ في سُوَرٍ مكِّيةٍ -وهي: الإسرَاءُ، ويُونُسُ، وهُودٌ- كان ذِكْرُ (مِنْ) فيها دون آيةِ يُونُسَ أنسبَ؛ لأنَّ ذلك وقعَ على جهةِ التَّنَزُّلِ معهم في التَّحَدِّي؛ لأجل تَبْكِيتِهم وإظهار عجزِهِمْ[6].

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 2/320.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/34.
(3) الواحديّ، البسيط: 2/238.
(4) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 553.
(5) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص: 22.
(6) أحمد هنداوي عبد الغفّار هلال، آيات التَّحدِّي ودقائق في نظمها، ص: 339-338.

دلالة الأَمْرِ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ عَلَى التَّعْجِيزِ وَالِاسْتِدْرَاجِ إِلَى غَايَةِ التَّبْكِيتِ:

بُلُوغُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَا سَبِيلَ مَعَهُ إِلَى الْإِنْكَارِ

الأمرُ في قوله سبحانه: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يُراد به التَّعْجِيز والإفحَامُ[1]، وفِيهِ "إرخاء العنان والاسْتِدْرَاجُ إلى غاية التَّبْكِيتِ، كأَنَّهُ قيل: تَرَكْنَا إلزَامَكُم بشُهَداء الحَقِّ إلى شهدائكم المَعْرُوفين بالذَّبِّ عَنْكُمْ، فإنَّهُم أَيْضًا لا يَشْهَدُونَ لَكُمْ حِذَارًا مِنَ اللَّائمة، وأَنَفَةً مِنَ الشَّهادة الْبَتَّةَ البُطْلَانِ، كَيْفَ لا وأَمْرُ الإعجاز قد بلغَ مِنَ الظُّهور إلى حيث لَمْ يَبْقَ إلى إنكاره سَبِيلٌ"[2].

بلاغة إدماج قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾:

تَوْبِيخُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ أَثْنَاءَ إِظْهَارِ عَجْزِهِمْ

وجاء التَّعبير بـ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دونَ (وَادْعُوا شهداءكم إن كنتُم صادقين)؛ فأُدمج ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، والقَصْدُ من ذلك: "تَوْبِيخُهُم على شِرْكِهِمْ أَثْنَاءَ تعجيزهم عَنْ مُعَارَضَةِ القُرآن، وهذا الْإِدْمَاجُ من أفانين البلاغَةِ أَنْ يكونَ مُرَادُ البليغ غَرَضَيْنِ فَيَقْرِنَ الغَرَضَ المَسُوقَ لَهُ الكلامُ بالغَرَضِ الثَّاني، وفيه تظهر مقدرَةُ البليغ؛ إِذْ يَأْتِي بذلك الاقْتِرَانِ بِدُونِ خُرُوجٍ عن غَرَضِهِ المَسُوقِ لَهُ الكَلَامُ ولا تَكَلُّفٍ"[3].

الِالْتِفَاتُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الغَيْبَةِ لِإِدْخَالِ الرَّوْعَةِ وَزِيَادَةِ الْمَهَابَةِ:

جاء التَّعبير بأسلوب التَّكَلُّم في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، ثُمَّ عُدِل عَنْهُ إِلَى الغَيبة في قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ -إِذِ الاسْمُ الظَّاهِرُ في حكم الغَيبَة-، وكان مقتضى الظَّاهر: (من دُونِنَا)، والنُّكْتَةُ في ذلك: إدخالُ الرَّوعة وزيادة المهابَة[4].

حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ لِدلالة مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ:

اسْتِحَالَةُ كَوْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ صَادِرًا مِنْ بَشَرٍ

جواب الشَّرْطِ في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ محذوفٌ، دلَّ عَلَيْهِ

(1) عادل أحمد الرّويني، من غريب بلاغة القرآن الكريم، ص: 122.
(2) الألوسّي، روح المعاني: 1/199.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/339.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/65.

مَا قبلَهُ، والتَّقْدِيرُ: إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في أنَّهُ من كلام البَشَرِ أَوْ أنَّكم قادِرُون على معارضتِهِ، فَأْتُوا بمِقْدَارِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ[1].

وجاء التَّعبيرُ في الشَّرطِ بـ (إِنْ) إيماءً إلى أنَّ صِدْقَهم فيما زَعَمُوهُ محالٌ[2].

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ ﴿صَٰدِقِينَ﴾:

اضْطِرَابُ أَقْوَالِ الْكَفَرَةِ وَعَدَمُ اتِّحَادِهَا

حُذِفَ مُتعلَّقُ ﴿صَٰدِقِينَ﴾؛ لِلإيمَاءِ إلى اضطرابِ أقوالهم تُجاهَ القرآن، فليس لَهُمْ قَوْلٌ مُتَّحِدٌ نحوَهُ فيُذكَر.

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعريضٌ بِكَذِبهم وافْتِرَائِهم، ومُجَانَبتِهم الحَقَّ في هذه القضيَّة الْعَظِيمَة[3].

تَعْلِيقُ الشَّرْطِ بِـ (إِنْ) خِطَابًا لَهُمْ حَسَبَ ظَنِّهِمْ وتَهَكُّمًا بِهِمْ:

التَّنَزُّلُ مَعَ الْمُخَالِفِ فِي الْمُحَاوَرَةِ

جاء الشَّرطُ في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ بـ (إِنْ) الدَّالَّة على الشَّكِّ دون (إِذَا)، مع أَنَّ عدمَ إِتْيَانِهم بمثل القرآن الكريم مَجْزُومٌ ومقطوعٌ به؛ وذلك لإِحْدَى نُكْتَتَيْن[4]:

الأُولَى: أَنَّ الكلامَ سِيقَ لَهُمْ حَسَبَ طَمَعِهم، وأَنَّ عَجْزَهُم عَنِ الـمُعَارَضَةِ -قَبْلَ أَنْ يَتَأَمَّلوا- لَمْ يكُن مُتَحَقَّقًا عِنْدَهُم؛ لِاعْتِمَادِهم على فصاحتهم وتَفَنُّنِهم في ضُرُوب الكلام.

والأُخْرَى: أَنَّ استعمال (إِنْ) جاء على وَجْهِ التَّهَكُّم بِهِمْ، ولِذَا اعتُرِضَ بينَ الشَّرط والجزاء بقوله سُبْحَانَه: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾.

حَذْفُ مُتَعَلَّقِ ﴿تَفْعَلُواْ﴾ لِلإِيمَاءِ إِلَى ظُهُورِ تَهَالُكِهِمْ عَلَى ذَلِكَ:

ظُهُورُ عَجْزِ الْكُفَّارِ عَنْ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

حُذف مفعول ﴿تَفْعَلُواْ﴾، والتقدير: فإن لم تفعلوا ما طُولِبْتُم به؛ أي: من الإتيان بسورة من مثل القرآن، بعد بذْلِكُم غاية جُهْدِكم في

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/45.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/72.
(3) عبد العزيز بن صالح العمَّار، آيات التَّحَدِّي في القرآن الكريم: الدّلالة والإيحاء، ص: 26-25.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/101.

سبيل ذلك، وإنما حُذِفَ "إيذانا بعدم الحاجة إليه، بناءً على كمالِ ظهورِ تهالُكِهم على ذلك"[1].

الِاعْتِرَاضُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لِتَعْجِيلِ بَيَانِ عَجْزِهِمْ، وَأَنَّ عَجْزَهُمْ عَنِ الْمُعَارَضَةِ مُطْلَقٌ:

عُلُوُّ البَلَاغَةِ القُرْآنِيَّةِ عُلُوًّا تَتَعَذَّرُ مَعَهُ مُعَارَضَتُهُ

الإطنابُ في قوله ﷻ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ إطْنَابٌ بالِاعْتِرَاضِ، فهو اعتراضٌ بين الشَّرْطِ والجواب، وفائدتُهُ: المُسَارَعَةُ إلى بيان عدَمِ تَمَكُّنِهِم من فِعْلِ مَا طُولِبُوا بِهِ، وتسجيلُ عجزِهم المُطْلَقِ عَنِ المُعَارَضَة[2].

إِيجَازُ الْحَذْفِ بِطَيِّ الِاسْتِلْزَامَاتِ الظَّاهِرَةِ:

المُعَانِدُ لِلحَقِّ مُتَوَعَّدٌ بِالنَّارِ، وَالمُنْقَادُ لِلْحَقِّ مَوْعُودٌ بِالْجَنَّةِ

في قولِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ حَذْفٌ؛ وذلك أنَّ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ قائمٌ مقام السَّبَبِ الذي هو مِنْهُ في الرُّتبة الثَّالثة، والتَّقدير: فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بسُورَةٍ مِنْ مِثْلِ القرآن، تبيَّن لَكُمْ عَجْزُكُم عَنِ المُعَارَضَة؛ وذلك دالٌّ على صدقِ ما تضمَّنَهُ وصِدْقِ الرَّسُول ﷺ وإذا صحَّ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ ثُمَّ اسْتَمَرُّوا في العِنَادِ، اسْتَحَقُّوا العذابَ بالنَّار، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[3].

ويُمْكِنُ أَنْ يُخرَّج هذا على المجَازِ المُرْسَلِ بعلاقةِ المُسَبَّبِيَّةِ حيث وُضِعَ اتِّقاء النَّار موضعَ تَرْكِ العِنَادِ الذي هو سَبَبٌ فيه، فذُكِرَ المُسَبَّب وهو اتِّقاء النَّار، والمراد: تركُ العنادِ والِانْقِيَادُ إِلَى الحقِّ؛ وهو سبب اتِّقاء النَّار.

تَعْرِيفُ ﴿ٱلنَّارَ﴾ بِلامِ العَهْدِ العِلْمِيِّ:

اسْتِقْرَارُ أُصُولِ العَقَائِدِ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ

اللَّام في (النَّار) من قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ لِلْعَهْدِ العِلْمِيِّ؛ وذلك أنَّ كثيرًا من آياتِ النَّار نَزَلَ بِمَكَّةَ المُكَرَّمةِ، فاستقرَّ ذلك

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/66.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/166.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/102، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/73، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/166.

المعنى في نفوس الْمُتَلَقِّينَ، فإذا عُرِّفَتْ باللَّامِ انْصَرَفَ الذِّهْنُ إلى تلك النَّارِ المعروفةِ قبلُ، لا إلى كلِّ نَارٍ.

فَائِدَةُ الْوَصْفِ زِيَادَةُ التَّهْوِيلِ:

وَصْفُ النَّارِ بأنَّها ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾ لِزِيَادَةِ التَّهْوِيل والتَّفْظِيع.

شِدَّةُ هَوْلِ النَّارِ وَفَظَاعَةُ الْعَذَابِ فِيهَا

وجُعِلَ هذا الوصفُ صِلَةً لِلْمَوْصُولِ - ومِن شَرْطِهَا كَونُها معلومةً لِلْمُخَاطَب- إمَّا بناءً على أنَّهم سَمِعُوا ذلك مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، أو أنَّهم سَمِعُوا قبلَ آيةِ الْبَقَرَةِ قولَ اللهِ سبحانه: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]، فَأُشِيرَ إلى ما سَمِعُوه مِنْ قبلُ[1].

نُكْتَةُ أُسْلُوبِ الْجَمْعِ:

الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ

في قَرْنِ النَّاسِ بالحجارةِ: أُسْلُوبُ الجَمْعِ[2]؛ وإنَّما قُرِنُوا بها؛ لأنَّهم لَازَمُوهَا في الدُّنْيَا بنَحْتِهِمُ الحجارةَ أَصْنَامًا، وصرفوا لَهَا العبادةَ من دُونِ اللهِ تعالى، فكان جزاؤُهم أَنْ يُقْرَنُوا بِهَا في الآخرَةِ؛ إذِ الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، ولِزِيَادَةِ تَحَسُّرِهِم؛ حيثُ ظَهَرَ لَهُمْ عَكْسُ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ، فَيَتِمُّ لَهُمُ العَذَابُ الجِسْمَانِيُّ والعذاب الرُّوحِي[3]، كما قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98].

نكتةُ تَقْدِيمِ النَّاسِ عَلَى الْحِجَارَةِ:

تَخْوِيفُ النَّاسِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ بِذِكْرِ مَا تُوقَدُ بِهِ

قُدِّمَ النَّاس على الحجارة؛ لِنِكَاتٍ[4]:

إحداها: أَنَّهُمُ الذين يُدْرِكُونَ الآلامَ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/67-68.

وجَزَمَ الزّمخشريّ (1/102) فعدَّ آية التَّحريم مَكِّيَّةً، إذْ لا يَلْزَمُ -كما أومأ أبو السُّعود- مِنَ الحُكم بمَدَنِيَّة السُّورة أن تكُونَ كلُّ آياتها كذلك. إلَّا أنَّه يمكِنُ أن يُقَالَ: إنَّ كون سُورةِ التَّحريم مدنيَّةً، لا يلزمُ أن تَكُونَ خُصُوصُ هذه الآية نَزَلَتْ بَعْدَ نُزُولِ آية البقرة؛ إذْ سُورَةُ البقرة نَزَلَتْ في مُدَدٍ شَتَّى.

(2) والجمع: هو أن يُجْمَعَ بين مُتَعَدِّد في حكمٍ واحد. يُنظر: السُّبكّي، عروس الأفراح: 2/251.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/103، والآلوسّي، روح المعاني: 1/201.

(4) الآلوسّي، روح المعاني: 1/201.

ثانيها: أنَّهم أَكْثَرُ إيقَادًا مِنَ الحِجَارَةِ؛ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الجُلُودِ واللُّحُومِ والشُّحومِ.

ثالثها: أنَّ الآيةَ مَسُوقَةٌ لتَخْوِيفِ النَّاسِ، فكانَ الْأَنْسَبُ تقديمَهم في الذِّكْرِ؛ لأنَّ ذلك أزيدُ في التَّخْوِيفِ.

مَعْنَى اللَّامِ فِي ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾:

اجْتِمَاعُ الْكَفَرَةِ مَعَ أَصْنَامِهِمْ فِي النَّارِ زِيَادَةٌ فِي عَذَابِهِمْ

تَعْرِيف (النَّاسِ) و(الحجارة) في قوله سبحانه: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يُرادُ به الجِنْسُ، وأنَّهم في النَّاسِ: جنسٌ خاصٌّ، وهُمُ الذين قدَّر اللهُ تعالَى دخولَهُم النَّارَ، وفي الحجارةِ: جنسٌ خاصٌّ مِنْهَا؛ وهو ما نُحِتَتْ مِنْهُ الأصنامُ.

وذهبَ بعضُ أهلِ العلم إلى أنَّ اللَّام فِيهِمَا لِلْعُمُومِ، لا على مَعْنَى أنَّ كُلَّ النَّاس يُعذَّبُ في النَّارِ وتُوقَدُ به؛ وإنَّما لِبَيَانِ صَلَاحِيَّتها لإحراق ما يُلقى فِيهَا مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ[1].

تَعْلِيقُ الإِعْدَادِ بِوَصْفِهِمْ بِالكُفْرِ لِبَيَانِ الْعِلَّةِ:

الْكُفْرُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ

تَعْلِيقُ إِعْدَاد النَّارِ بوَصْفِهِمْ بالكُفْرِ في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ هُو قَصْدٌ لِبَيَانِ العِلِّيَّة، وأنَّه إنَّما أَعَدَّ النَّارَ لَهُمْ؛ لِكَوْنِهِمْ كَفَرُوا بما يَجِبُ الإيمانُ به والْإِذْعَانُ لَهُ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرَّيْبُ وَالشَّكُّ:

يرَى جماعةٌ مِن العلماءِ أنَّ الرَّيْبَ مرادِفٌ لِلشَّكِّ؛ بل نَقَلَ ابنُ أبي حاتم الإِجْمَاعَ على تَفْسِير الرَّيبِ بالشَّكِّ الواردِ في صَدْرِ سورة البقرة[2]؛ وليس في هذا الإِجْمَاعِ إجماعٌ بتَرادُفِهِمَا، وإنَّما كان الاتِّفاقُ على تفسيرِ الرَّيب بالشّكِّ مِن جهة وُجُودِ أصل الشَّكِّ فيه؛ إذْ كلُّ رَيْبٍ فيه شكٌّ -كما سيتَّضحُ قريبًا-.

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/201.

(2) ابن أبي حاتِم، تفسير القرآن العظيم: 1/34.

ولذا قال السَّمين الحلبيّ: "فلَيْسَ قولُ مَن قال: (الرَّيْبُ الشَّكُّ مطلقاً) بجَيِّدٍ، بل هو أخصُّ مِنَ الشَّكِّ"[1].

والتَّحقيقُ أنَّ بين الرَّيْبِ والشَّكِّ فرقًا، وقَدِ تباينت عباراتُ العلماءِ في بيان الفرقِ بَيْنَهُما؛ فقيل: الرَّيْبُ: الشَّكُّ مع تُهمة[2]، أو هو شكٌّ وزيادةُ ظنٍّ سوءٍ[3]، وحقيقتُهُ: قَلَقُ النَّفس واضْطِرابُها[4]، والتُّهَمَةُ التي في الرَّيْبِ هي تُهمةٌ لِلْمُخْبِرِ[5].

وقيل: الشَّكُّ وقوفُ النَّفس بين شَيْئَيْنِ مُتَقابِلَيْنِ مِن دون أَمَارَةٍ مُرَجِّحةٍ بينَهُما، وَالرَّيبُ: أَنْ يُتَوَهَّم في الشَّيء أمرٌ مَا، ثُمَّ يَنْكَشِفَ عمَّا تُوُهِّم فيه[6]، فكأنَّ في الرَّيْبِ نوعَ حُكْمٍ وإِنْ لَم يَكُنْ جازمًا، بخلاف الشَّكِّ فلا حُكْمَ فيهِ.

والتَّحْقِيقُ فِيهِ مَا قرَّره ابنُ القَيِّم رحمه الله، فَقَد جعلَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا مِنْ سِتَّةِ أوجُهٍ، نُرْجِعُهَا إلى فَرْقَيْنِ اثنين[7]:

أَحَدهما: فرق لفظيٌّ، والآخر: معنويٌّ.

فأمَّا اللَّفظيّ؛ فإنَّه يُقال: شَكٌّ مُرِيبٌ، ولا يقال: رَيْبٌ مُشَكِّكٌ، ويقال: رَابَنِي أمرُ كذَا، ولا يُقال: شكَّكَنِي.

وأمَّا المعنويّ؛ فَهُوَ أَنَّ الرَّيبَ بمعنى الانْزِعَاج والقلَقِ، يُقال: رابَهُ إذا أزعجه وأقْلَقَه، ولا يكون هذا المعنى في الشَّكِّ؛ فإنَّك تقول: لا تُرِبْ فلانًا بمعنى لا تُزعجْهُ ولا تُقْلِقْهُ، ولا يصح أَنْ يُقَالَ: لا تُشَكِّكْهُ! -بِذَلِكَ الْمَعْنَى-.

والرَّيْبُ فيه -مع الشَّكِّ- مَعْنَى التُّهَمَةِ، فَيُقَال: رابني مجيئُهُ، ولا يقال: شكَّكَنِي مجيئُهُ.

ولذا فَإِنَّ الشَّكَّ أصلٌ للرَّيْبِ وسَبَبٌ فيهِ؛ فَإِنَّ العَبْدَ يشُكُّ أوّلا، ثُمَّ يُوقِعُهُ الشَّكُّ في الرَّيْبِ.

---

(1) السَّمين، الدُّر المصون: 1/86.
(2) السَّمين، الدُّر المصون: 1/86، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 264.
(3) النَّيسابوريّ، غرائب القرآن: 1/137.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/34.
(5) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 17/409.
(6) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/115.
(7) ابن القيِّم، بدائع الفوائد: 4/106.

نَزَّلَ وَأَنْزَلَ:

مصدر الفعل (نَزَّلَ): التَّنزيل، ومصدر (أنزل): الإنزال، والفرق بينهما: أنَّ التَّنزيل لِمَا يكون مُفرَّقًا أو تدريجيًّا، والإنزالَ لِمَا يكون دفعةً واحدة[1]، وهذا هو المعبَّر عنه بقولهم: التَّنزيلُ تدريجيٌّ، والإنزال دَفْعِيٌّ.

وذهب الرَّاغبُ في تفسيره إلى كونهما بمعنًى واحدٍ، وإنَّما غُويرَ بينهما في نحو قول الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 3]؛ لكون حُكْم القرآن الكريم مؤبَّدًا، وهو مناسبٌ لـ (نزَّل)؛ فإنَّه بِنَاءٌ لِلمبالغة، ولِمَا في التَّنزيل مِن معنَى التَّدريج -وهو ما سبق-[2].

وكلامُه في (المفردات) يَقْضِي أَنَّ بينَ الإنزالِ والتَّنزيل عمُومًا وخصُوصًا مُطْلَقًا؛ فالتَّنْزِيل يكون تدريجيًّا، والإنزالُ أَعَمُّ مِنْهُ؛ فقد يدلُّ على معنى التَّدْرِيجِ وقد لا يدلُّ[3].

والظَّاهر: الأوَّلُ، وهو أَنَّ التَّنْزِيلَ تدريجِيٌّ والإنزالَ دَفْعِيٌّ.

ولا يُشكِلُ على هذا الفرقِ: أنَّه وقعَ التَّعبيرُ عَنِ القُرآن الكريم بالفِعْلَيْنِ معًا؛ لأنَّ لِلْقُرْآنِ الكريمِ نُزولَيْنِ[4]:

أحدهما: نزولٌ دَفْعِيٌّ إلى السَّماءِ الدُّنيا.

والآخر: نُزولٌ تدريجِيٌّ بحسب الوقائع والأحداث.

---

(1) السّمين، عمدة الحفّاظ: 4/164، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 79، والجرجانّي، التّعريفات، ص: 68، والخفاجيّ، عناية القاضي: 1/3، 2/3، والزّبيديّ، تاج العروس: 30/479، وابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/340-341.

(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 2/408.

(3) الرّاغب، المفردات، ص: 800-799.

(4) أبو شامة المقدسّي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، ص: 17، والسّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/146.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»